

شهر التحرير

إعداد: خليل محمود اليماني

قد تحيا طوال العام في خندق شهوة أو تظل أسيراً لهواك في بعض
الأموار...

قد تمر عليك الأيام تلو الأيام وأنت رهينُ عادة سلبية أو حبيسٌ لطبع
ذميم...

تذكر هذه العادة الرديئة أو تلك الشهوة الخبيثة فيصيبك الحزن
وتحاصرُك الهموم والآلام...

ترغب في مفارقتها ولكنك تشعر أنك أضعف بكثير من تركها والنأي
عنها لقوة ارتباطك بها...

تتمنى إرادة صلبة وعزماً قوياً لتخرج به من بئر الهوى وقيد العادات
السلبية ولكن تشعر أنك لا تملكه ولا تحوزه...

فها قد وانتك الفرصة ولاحت أمامك...



إنه رمضان

فهذا الشهر الكريم يأتيك في كل عام ليمنحك القدرة
على الخلاص والتغيير...

يأتيك ليذكرك بأنك قادر على الخروج من البئر وكسر
كل القيود والأغلال...

يأتي رمضان ليذكرك بأنك لست مجرد هيكل طين أو
إهاب من تراب ولكن بداخلك عزيمة ولديك إرادة
تستطيع بها أن تفك القيد وتبدأ رحلة الخلاص،
الخلاص من أسر الشهوات وتحرير النفس من سلطان
الأهواء. وتلك هي رسالة من أعظم رسائل هذا الشهر
المبارك، والتي يجب عليك حسن استثمارها والانتفاع
بها حتى تتغير.



رمضان وصناعة التغيير:

نعم رمضان؛ فرصتك الكبرى للتغيير، ولم لا؟! فهو شهر العزيمة وبناء الإرادة الحصينة. ففي هذا الشهر تجتمع لك أمورٌ تعينك على التغيير لا تجتمع في غيره من الشهور:

كسر العادة:

في رمضان تنكسر العادات وتتغير المؤلفات؛ أوقات الطعام والشراب، النوم والاستيقاظ، أغلب المؤلف يجري تعديله وتغييره. لماذا؟ لتدرك أنك قادر على ترك كلِّ مألوفك مهما بلغت سطوته واشتدت وطأته، لتدرك أنك قادر على مضارقة رديء عادتك، وبلوغ تمام استقلالك.



بناء الإرادة

في رمضان تصوم، تمتنع عن شهوتي البطن والفرج، وهما أعتى شهوتين يسعى من أجلهما كل الناس. فحين تصوم تستشعر أنك قادر على ضبطهما، فأنت إذاً على ما دونهما أقدر، ترى طعاماً لذيذاً والنفس تشتهيها، وماءً بارداً أنت في شوق إليه؛ فترفض قائلاً: إني صائم، وتبقى هكذا مدة الشهر. وهكذا تتخلق لديك الإرادة، وتقوى العزيمة، ويولد لديك الشعور بالقدرة على مغالبة كل عادة وقعت أسيراً لها وكل شهوة ارتبطت حياتك بها لتصبح سيدها، تقودها ولا تقودك. وتأمل ماذا قال الله بعد أن رخص للمرضى والمسافرين بالإفطار: (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ) البقرة: ١٨٤ ، حتى تتعود المجاهدة وتتكون لديك الإرادة المستعلية. ألسنت في شهر التحرير؟! فلا بد إذاً من شحذ الهمة.



طول المدة :

إنّ الإنسان إذا استمر على أداء عمل ما بشكل دائم لمدة معينة من الأيام؛ فإنه ينغرس في نفسه ويتحوّل إلى سلوك معتاد.

فهل عرفت الآن لماذا رمضان؟ إنه ببساطة معسكرٌ طويلٌ للتدريب، تتدرب فيه على التحكم في الشهوات وعدم الانسياق وراء الانفعالات. هذا يسبّبك وذاك يجهل عليك، فتقول: إني صائم. وهكذا مدة الشهر؛ إن هذه المدة من شأنها - إن صدقت نيتك- أن تجعل إرادتك حديدًا وعزمك صلبًا أكيدًا، لا تقف أمامه عادة ولا تستعلي عليه شهوة مهما كانت.



مساندة البيئة :

في رمضان لن تسير في طريق التغيير وحدك فتستوحش من قلة السالكين، لن تسبح ضد التيار فتشعر سريعاً بالتعب. ولكن جموع الناس معك، هذا يعينك ويأخذ بيدك، وذاك يساندك ويدعمك. كل هذه علامات ودلائل على أن رمضان هو فرصتك لإحداث التغيير، فرصتك للثورة على مرذول العادات وسلطان الشهوات. فيا حسرة من أتته الفرصة فلم يكسر قيد الشهوة! ويا لتعاسة من ألقى إليه مفتاح الخروج وأبى إلا البقاء في قفص النزوة! واذكر.. لا يفتح باب القفص إلا إذا أخذت المفتاح وبدأت بفتح الأقفال لتتحرر، فما لم تمد يدك فستبقى رهين القفص فدونك والخلاص، ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ التوبة : ٤٦.

وها أنت الآن قد واثقت الفرصة ولاحت أمامك، فهل تعزم على التحرر؟ وهل تعاهد على الخلاص؟ فما أدراك هل تدركها ثانية أم ينقضي العمر وينتهي الأجل؟ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿المؤمنون: ٩٩-١٠٠. فإن كنت قد عزمت على اغتنام الفرصة والقيام بالتغيير فهنيئاً لك ثم هنيئاً لك، ولكن كن على حذر من بعض العوائق والمثبطات.

الرسائل السلبية :

بقاءك لمجيء غدٍ آخر؟! فالبدار البدار
قبل انقضاء الأعمار ووقوع الخسار.

وأخيراً :

فلتعزم على التغيير، ولتصدق في نيتك لا
سيما وأنت في رمضان حيث الفرصة مواتية؛
فمن صدق الله صدقه، واعلم أن الإمداد
على قدر الاستعداد، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلُوْ
صَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ محمد: ٢١.

وذلك حين تقول لنفسك: أنا
أعرف أنني لن أتغير.. سوف أعود
لما كنت عليه بعد هذا الشهر. فهذه
رسائل سلبية تقتل الإرادة وتنهش
العزيمة وتعوق إحداث التغيير.
فالأمر إذاً ليس إلا عزيمة باطن
فاحذر أن يجهضها حديث نفس
سلبى، واعلم أنك إن لم تتخذ قرارك
بالتغيير اليوم فسيكون اتخاذه في الغد
أصعب بلا شك؛ فلو أن حريقاً شبَّ في
مكان ما فإنك في البداية تستطيع
أن تطفئ تلك النار بقليل الجهود،
بل ربما بنفخة واحدة، ولكن كلما
طال تأخرك تعذر عليك إطفائها
بسهولة. وهكذا طبائع الإنسان؛
كلما اجتهدت في التغيير مبكراً سهل
عليك الخلاص من أدرانك وسلبياتك
وطبائعك السيئة، وكلما انتظرت فترة
أطول وسوّفت تأصلت الطبائع السيئة
في نفسك، وتغلغلت وصعب عليك
الخلاص منها؛ لذلك ابدأ من الآن.
وقد تقول: إن الأمر صعب. وأقول:
ولو انتظرت إلى الغد فسيكون أصعب؛
لذلك يجب أن تبدأ الآن، ومن يضمن